تفسير ابن كثير

هذا شروع في عتاب من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم في غزوة تبوك حين طابت الثمار والظلال في شدة الحر وحمارة القيظ فقال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله } أي إذا دعيتم إلى الجهاد في سبيل الله { اثاقلتم إلى الأرض } أي تكاسلتم وملتم إلى المقام في الدعة والخفض وطيب الثمار { أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة } أي ما لكم فعلتم هكذا أرضى منكم بالدنيا بدلا من الاخرة ؟ ثم زهد تبارك وتعالى في الدنيا ورغب في الاخرة فقال { فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل } كما قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ويحيى بن سعيد قالا حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن المستورد أخي بني فهر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : [ما الدنيا في الاخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم فلينظر بم ترجع ؟] وأشار بالسبابة انفرد بإخراجه مسلم وروى ابن أبي حاتم حدثنا بشر بن مسلم بن عبد الحميد الحمصي بحمص حدثنا الربيع بن روح حدثنا محمد بن خالد الوهبي حدثنا زياد يعني الجصاص عن أبي عثمان قال : قلت : يا أبا هريرة سمعت من إخواني بالبصرة أنك تقول : سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلّم يقول [إن الله يجزي بالحسنة ألف ألف حسنة] قال أبو هريرة : بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول [إن الله يجزي بالحسنة ألفي ألف حسنة] ثم تلا هذه الاية { فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل } فالدنيا ما مضى منها وما بقي منها عند الله قليل وقال الثوري عن الأعمش في الاية { فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل } قال : كزاد الراكب .

وقال عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه : لما حضرت عبد العزيز بن مروان الوفاة قال : ائتوني بكفني الذي أكفن فيه أنظر إليه فلما وضع بين يديه نظر إليه فقال : أما لي من كبير ما أخلف من الدنيا إلا هذا ؟ ثم ولى ظهره فبكى وهو يقول أف لك من دار إن كان كثيرك لقليل وإن كان قليلك لقصير وإن كنا منك لفي غرور ثم توعد تعالى من ترك الجهاد فقال : { إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما } قال ابن عباس : استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلّم حيا من العرب فتثاقلوا عنه فأمسك الله عنهم القطر فكان عذابهم { ويستبدل قوما غيركم } أي لنصرة نبيه وإقامة دينه كما قال تعالى : { وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم } { ولا تضروه شيئا } أي ولا تضروا الله شيئا بتوليكم عن الجهاد ونكولكم وتثاقلكم عنه { والله على كل شيء قدير } أي قادر على الانتصار من الأعداء بدونكم وقد قيل إن هذه الاية وقوله : { انفروا خفافا وثقالا } وقوله : { ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من

الأعراب أن يتخلفوا عن رسول ا } إنهن منسوخات بقوله تعالى : { وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة } روي هذا عن ابن عباس وعكرمة والحسن وزيد بن أسلم ورده ابن جرير وقال : إنما هذا فيمن دعاهم رسول ا صلى ا عليه وسلّم إلى الجهاد فتعين عليهم ذلك فلو تركوه لعوقبوا عليه وهذا له اتجاه وا سبحانه وتعالى أعلم بالصواب